الفصل الثالث

الصيغ الفعلية مع الأدوات المختلفة

* الدلالـــة على الماضـي.
* الدلالـــة على الحاضـر.
* الدلالـــة على الاستقبـال.
* الدلالـــة علي الزمن العـــام.

الصيغ الفعلية مع الأدوات المختلفة

درسنا في الفصلين السابقين طائفة من الأدوات المختلفة وجعلنا كل فصل يضم أدوات تشكل أسرة تربط بينهما دلالة جامعة مشتركة هي الشرط في الفصل الأول، والنفي والاستفهام في الفصل الثاني أما الفصل الثالث، فقد جعلناه يضم أدوات مختلفة الدلالة والوظيفة النحوية (منها العامل وغير العامل، ومنها الناصب ومنها الجازم...الخ)، وكل ما يجمع بين هذه الأدوات، أنها تؤثر في الدلالة الزمنية للفعل الذي تسبقه، أو تلحقه، حسب دلالتها الذاتية، وحسب السياق الذي ترد فيه، ومن هذه الأدوات ما هو خاص بالدخول على الفعل المضارع، ومنها ما هو خاص بالماضي ومنها غير المختص الذي يسبق الفعل الماضي والمضارع.

ومن بين تلك الأدوات الخاصة بالفعل المضارع، سوف والسين.

دلالة السين وسوف على الاستقبال :

السين الداخلة على المضارع يسميها النحاة بسين التنفيس ويجعلونها خاصة بتخليص المضارع للاستقبال في مثل قوله تعالى : «كلا سيعملون»(النبأ/4 78)، والسين عند البصريين حرف مستقبل،، أي أنها أصل بنفسها بينما ذهب الكوفيون الى أنها مقتطعة من سوف. كما قالوا : سوا، و"سي" و "سف" وقد اختار ابن مالك هذا الرأي لأنه أبعد عن التكلف، ولأنهم أجمعوا على أن هذه الثلاثة فروع لـ : "سوف" فلتكن السين كذلك(1) ولقد نص سيبويه على أن هذه الدلالة الزمنية للسين الخاصة بالاستقبال، فقال : "اذا قال سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان"(2).

---

1 - انظر الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 60/59. والكتاب 35/1و الاتقان للسيوطي 163-162/1.

2 - الكتاب 35/1.

كما نص عليها ابن جني عندما قال : "أردت بالفعل المضارع الاستقبال أدخلت عليه السين لتدل بها على الاستقبال"(1).

وسنرى -ونحن ندرس آيات من القرآن تضمنت (سنفعل)، أنها لا تقتصر على الدلالة على المستقبل القريب، بل لها دلالات أخرى وقد اكتشف النحاة أنفسهم أن السين هذه قد تنحرف دلالتها الزمنية عن القاعدة التي وضعوها لها. فقد وجدوا أنها جاءت مقترنة بـ "الآن" الدالة على الحاضر في قول الشاعر «من الوافي».

فإني لست خاذلكم ولكن سأسعى الآن اذ بلغت أناها(2) كما وجدوا أن معناها الزمني يمكن أن يدل على المعنى الزمني لسوف فقد عبر الشاعر في البيت التالي عن المعنى الواحد، الواقع في الوقت الواحد(3) بـ سيفعل، وسوف يفعل : قال : (من البحر الطويل).

وما حالة الا سيصرف حاها الى حالة أخرى وسوف تزول(4)

ومن الايات التي جاء فيها السين للدلالة على مستقبل غير بعيد. قوله تعالى : «والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون»(الاعراف182/7) اذ نجد أن مؤدي الاية وسياقها يوحيان بمباشرة (الاستدراج) في الزمن القريب، يقول الرازي وهو يشرح (سنستدرجهم». "الاستدراج" : الاستفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد، أو الاستنزال درجة بعد درجة..... اذا عرفت هذا، فالمعنى سنقربهم الى ما يهلكهم وتضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم، وذلك أنهم كلما أتوا بجزم، أو أقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من أبواب النعمة والخير في الدنيـــا فيزدادو بطـــرا

1 - الاشباه والنظائر 257/1.
2 - انظر البيت في الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 59.
3 - نفـــه. المصدر.
4 - نفـــه:

وانهماكا في الفساد وتماديا في الغي.... ثم يأخذهم الله دفعة واحدة على غرقهم أغفل ما يكون"(1) وهو شرح يجعلنا نستنتج أم حدود "سنستدرجهم" الزمنية لا تتعدى المستقبل القريب.

ومن دلالتها على الزمن البعيد نسبيا قوله تعالى : «الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم بعد غلبهم سينغلبون في بضع سنين»(الروم3,2,1/30) وقد جعل المفسرون المدى الزمني للسنين في هذه الآية يمتد الى تسع سنوات أو سبع سنوات في روايات أخرى إذ يروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شرح "يضع" في الآية وحددها بتسع سنوات ولكن الروم ظهر وعلى فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين(2) أي أن الغلبة للروم كانت بعد سنين وهو ما يحملنا على القول أن زمن "سيغلبون" في الاية هو زمن استقبالي متوسط المدى ومن الآيات التي جاءت فيها السين دالة على المستقبل البعيد قوله تعالى : «سأرهقه صعودا»(المدثر26/74) لأن زمن الفعل انتقل في هذه الآية الى زمن الدار الآخرة لأن معنى (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد، وهو مثل لما يلقي الكافر من العذاب الشاق الذي لا يطاق و قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يشرح هذه الآية "يكلف أن يصعد عقبة في النار، كلما وضع عليها يده ذابت، فاذا رفعها عادت أو اذا وضع رجله ذابت، فاذا رفعها عادت" وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود : جبل من نار يصعد فيه سبعين خريف، ثم يهوي فيه كذلك أبدا(3) وهي شروح تبين كلها أن حدث الفعل (سأرهقه) يكون في الدار الآخرة وهو زمن استقبالي بعيد.

وقد تأتي السين مع الفعل المضارع للدلالة على الزمن الماضي وهو اختيار القرطبي الذي ذهب الى أن السين قلبت معنى المضارع الى الماضي في قوله

1 - التفسير الكبير للفخر الرازي 73/15.
2 - الكشاف 214/3 وأسباب النزول للنيسابوري 258-259.
3 - انظر شرح الآية والحديثين في الكشاف 182/4 وانظر البحر المحيط 375/8.

تعالى : «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها»(البقرة142/2).

قال : سيقول بمعنى قال "جعل المستقبل موضوع الماضي، دلالة على استدامة ذلك وأنهم يستقرون على ذلك القول.(1) وقد عرض الرازي قولين في شرح (سيقول) : القول الأول وهو مساير لرأي القرطبي. اذ يرى أن هذا اللفظ وان كان المستقبل ظاهرا، لكنه قد يستعمل في الماضي أيضا. مثل ذلك كمثل رجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض أعدائه، فيقول : أنا أعلم أنهم سيطعنون عليّ فيما فعلت أي أن هذا الفعل أصبح في حكم العادة، فاذا ذكروه مرة فسيذكرونه بعد ذلك مرة أخرى. وعلى هذا التأويل يصح أن يقال : سيقول السفهاء من الناس ذلك وقد وردت الأخبار أنهم لما قالوا ذلك نزلت الآية القول الثاني : ان الله تعالى، أخبر عنهم قبل أن ذكروا هذا الكلام أنهم سيذكرونه وبهذا التفسير يبقى الفعل المضارع على أصله دالا على المستقبل. وفائدة هذا الرأي فيما يقول الرازي أنه عليه الصلاة والسلام اذا أخبر عن ذلك قبل وقوعه، كان هذا اخبار عن الغيب فيكون معجزا(2) لأن الكفار قالوا هذا الكلام فعلا.

ولا يفهم من هذا التحليل أن السين قد فقدت دلالتها الزمنية الخاصة بالاستقبال. ذلك أن السياق الذي ترد فيه الآية هو الذي يضفي عليها دلالة زمنية تنسجم مع المعنى العام للموضوع المتحدث عنه.

من ذلك مثلا أننا نجد السين تقع في معنى الماضي عندما ترد مع الفعل المضارع في أسلوب قصصي. ففي قوله تعالى : «قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون»(يوسف61/12). نجد أن "سنراود" دالة على المستقبل بالنسبة لزمن القول، ولكنها ماضية بالنسبة لزمن القص. فقد راودوا أباهم فعلا (وهوحدث

1 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 147/2.
2 - التفسير الكبير للفخر الرازي 91/4.

وتمّ قبل نزول القرآن بقرون كثيرة).

أما "سوف"، فيتفق النحاة على أنها لا تكاد تختلف عن السين من حيث الدلالة الزمنية(1) "الا أن سوف أوسع زمانا من السين نظرا الى أن كثرة الحروف على كثرة المعاني(2) وقد رأينا أن السين تدل على الزمن القريب والبعيد في القرآن وسنرى -في القرآن كذلك- أن سوف تدل على الزمن القريب في بعض المواضع وتدل على الزمن البعيد في مواضع أخرى، أي أنها لا تختلف عن السين ومن الدلائل التي تبين أن سوف ليست خاصة بالمستقبل البعيد أن المفسرين لم يتفقوا على المدى الزمني الذي تشير اليه سوف في قول الله تعالى على لسان سيدنا يعقوب : «قال سوف أستغفر لكم ربي»(يوسف98/12).

فقد قالوا : ان قوله (سوف أستغفر لكم) عدة لهم بالاستغفار بسوف وعن ابن مسعود أنه أخر الاستغفار لهم الى السحر، كأن سوف -على هذا الرأي- جاءت للزمن القريب وعن ابن عباس أنه أخر الاستغفار الى ليلة الجمعة، أو الى سحرها وفي كل هذه الشروح تكون "سوف" للزمن القريب ولكن هناك شروح تجعل سوف في هذه الاية للزمن البعيد منها أنه أخرهم ليعلم حالهم في صدق التوبة واخلاصها. ومنها أنه أراد الدوام على الاستغفار الى أن يحصل الغفران بقوله أنه هو الغفور الرحيم(3) وهكذا نجد أن المدى الزمني لسوف يحتمل مقادير زمنية مما يبين أن سوف في القرآن لم تتقيد بدلالة واحدة.

وقد اشتركت "سوف" مع السين للدلالة على معنى زمني واحد في القرآن بحيث أصبح الفعل بعدها يدل على زمن دنيوي يمكن أن يحدث بعد مدة قصيرة. وذلك في قوله تعالى : (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه

1 - الجنى الداني في حروف المعاني 458-459.
2 - معني اللبيب لابن هشام 139/1.
3 - انظر هذه الاراء في البحر المحيط لأبي حيان 346/5.

فيعذبه عذابا.....

وسنقول له من أمرنا يسرا) : أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل الميسر"(1) وبهذا الشرح يمكن أن نعرف أن الفعلين بعد السين وسوف يدلان كلاهما على زمن دنيوي قريب.

نون التوكيد والدلالة على الاستقبال

يجمع النحاة على أن نون التوكيد خفيفة وثقيلة حرف يصرف المضارع للاستقبال ويمنعه من الدلالة على الحال. لأنهما (نوني التوكيد) يليقيان بما لم يحصل(2) قال المرادي "وأما المضارع، فان كان حالا لم تدخل النون عليه، وان كان مستقبلا أكد بها وجوبا اذا وقع جواب قسم بأربعة شروط(3)..." وقد ذهب البصريون الى أن الخفيفة والثقيلة أصلان لتخالف بعض أحكامهما، ولأن التوكيد بالثقيلة أشد... ومذهب الكوفيين أن الخفيفة فرع الثقيلة(4) وقد اجتمعتا في قوله تعالى : "وان لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين"(يوسف32/12).

وقد جاءت نون التوكيد دالة على المستقبل القريب في قوله تعالى : «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنّه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين»(النحل27/20-22).

اذ نفهم من سياق سرد قصة سيدنا سليمان عليه السلام أن الأفعال

---

1 - التفسير الكبير للرازي 168/21.

2 - انظر الخصائص لابن جني 83/3 والمقتضب للبرد 11/3 والتسهيل 216.

3 - الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 142,141.

4 - الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الابياري المسألة الرابعة والتسعون 650/2-653.

المضارعة المؤكدة. النون في الاية دلت على مستقبل قريب مباشر.

اذ ما هي الا فترة مضت بعد توعد سيدنا سليمان الهدهد حتى جاء من سبأ ينبأ يقين أما أن الأفعال المضارعة المؤكدة في الآية دالة على الاستقبال القريب فلأن مدة غياب الهدهد كانت قصيرة قال الرازي وهو يشرح هذه الآية : "أما قوله اذ مكث غير بعيد كقولك عن قريب، ووضف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان، وليعلم كيف كان الطير مسخرا له"(1)

كما جاءت نون التوكيد دالة على الزمن البعيد في قوله تعالى : «كلا لينبذنّ في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة»(الهمزة104/4/6-4).

ونفهم من الفعل لينبذن أنه يشير الى زمن يوم القيامة اذ يمكن أن يقال في غير القرآن : (سوف ينبذ) لأن المراد بالحطمة : هي النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها "أو هي الدرك الثاني" أو هي باب من أبواب جهنم(2) فان معنى الحطمة ينقل معنى الفعل ينبذن الى زمن يوم القيامة، وهو زمن بعيد.

وجاءت النون الخفيفة كذلك دالة على الزمن البعيد في قوله تعالى : «كلا لئن لم ينته لنسعفا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة»(العلق96/15/16-15). فقد شرح المفسرون هذه الآية بما يدل على أن الفعل المضارع المؤكد (لنسعفا) يدل على زمن يوم القيامة أو قد نزلت الاية لردع أبي جهل ومن طبقته عن نهي عباد الله عن عبادة الله وأنه ان لم ينته عما هو فيه سيأخذه الله بالناصية سحبا الى النار(3) (يوم القيامة) وقد جاءت نون التوكيد بعد المضارع المسبوق بـ"لا" الناهية في ايات كثيرة (نحو 40 مرة) ولكننا نرى أن دلالة

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 24/89-190.
2 - البحر المحيط لأبي حيان 8/510.
3 - المصدر نفسه 8/494.

لمضارع على المستقبل ناتجة عن لا الناهية وليست من تبعات نون التوكيد وتكون وظيفة النون في هذه الحالة توكيد النهي عن الفعل فيما يستقبل من الزمان ومن ذلك قوله تعالى : «يا بني آدم لا يفتنّكم الشيطان»(الاعراف/27 7).

وقوله تعالى : «فان اتبعتني فلا تسألني عن شيئ حتى أحدث لك منه ذكر»(الكهف70/18).

"قد" ودلالتها الزمنية مع الصيغ الفعلية :

"قد" الحرفية تختص بالفعل، وتدخل على الماضي بشرط أن يكون متصرفا، وعلى المضارع بشرط تجرده من جازم، وناصب، وحرف تنفيس. ولها دلالات زمنية مختلفة مع الفعل الماضي والفعل المضارع(1).

فهي تفيد مع فعل، الماضي القريب من الحال أو معنى التوقع في مثل قول المؤذن (قد قامت الصلاة) كما تفيد التحقيق، والماضي المطلق في نحو قوله تعالى : «ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل»(النساء164/4). وهي تفيد التوقع في المستقبل غالبا مع المضارع، وقد تفيد الماضي على نحو ما سنرى(2)

وقد دلت "قد" على الماضي القريب من الحال في قوله تعالى : «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله»(المجادلة1/58). فقد جاءت للتوقيع ولإفادة الماضي القريب من الحال لأن سياق الآية يدل على ذلك. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها سبحان من وسع سمعه الأصوات. كان بعض كلام خولة يخفى عليّ.

---

1 – الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 254-259.

2 – المصدر نفسه وانظر الفصلين اللذان خصصناهما لزمن الفعل عند النحاة وزمن الفعل عند المفسرين.

وسمع الله جدالها(1). وكان عمر رضي الله عنه يكرم خولة اذا دخلت عليه ويقرل : قد سمع الله لها(2) قال الزمخشري : ومعنى "قد" التوقع لأنه صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا متوقعين أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها(3) وخلاصة القول أن التركيب قد سمع، دل على الماضي القريب جدا من الحال لا تفصله عنه الاّ حيز زمني بسيط واقع بين سماع الله تعالى قول المجادلة وبين مخاطبته رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن دلالات "قد فعل" على الماضي القريب، قوله تعالى : «قالوا وما لنا ألاّ نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا»(البقرة146/2).

ومن دلالات "قد فعل" على المستقبل، قوله تعالى : «قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم»(الاعراف89/7).

إذ يجعل العبكري : "قد افترينا" للاستقبال لوقوعها في أسلوب شرطي(4) كما جاءت "قد فعل" في سياق دال على الاستقبال وذلك في قوله تعالى «فهل ينظرون الى الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها»(محمد/18 47). إذا المراد بالاشراط علامات يوم القيامة وبذلك يكون معنى قد جاء أشراطها، ستأتي علاماتها(5) جاء التعبير بالماضي لتصوير الفعل وكأنه واقع لا محالة وهو تعبير قرآني مطرد في كثير من الايات.

وقد جاءت "قد فعل" في سياق سرد قصص الأنبياء أو أخبر الأولين فدلت على زمن ماض بعيد غالبا، وذلك في نحو قوله تعالى : «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب

---

1 - البحر المحيط 232/8.
2 - المصدر نفسه.
3 - الكشاف 70-96/4.
4 - املاء ما من به الرحمن لأبي البقاء العكبري 62/1.
5 - الكشاف 553/3 والبحر 80/8.

والحكمة»(النساء54/4) ومن قوله تعالى : «يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكثر من ذلك»(البقرة153/4) وقوله عز وجل : «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الاّ كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم»(الانعام6/4-5) وقوله تعالى : «قل لوشاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله»(يونس16/10).

كما جاءت "قد فعل" للدلالة على الزمن العام، وهذا عندما تكون جوابا للشرط. من ذلك قوله تعالى : «ومن يأت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا»(البقرة269/2).

وقوله تعالى : «ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم»(آل عمران101/3).

وقوله عز وجل : «ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما»(النساء48/4).

وقوله سبحانه وتعالى : «من يطع الرسول فقد أطاع الله»(النساء80/4) .

وقوله عز وجل : «ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا»(النساء112/4).

وقوله تعالى : «ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا»(النساء119/4).

"قد" مع الفعل المضارع "قد يفعل"

من دلالات "قد يفعل" في القرآن الكريم تحقق الفعل في الماضي في نحو قوله تعالى : «يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم»(الصف5/61). اذ جاءت (قد تعلمون) بمعنى قد علمتم.. وفي البحر: (وقد تدل على التحقق في الماضي، والتحقق في المضارع؛ والمضارع هنا، معناه

المضي أي وقد علمتم.... وعبر عنه بالمضارع ليدل على استصحاب الحال(1) ومنها قوله تعالى : «ألا إن الله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه»(النور64/24).

وقوله تعالى : «قد نرى تَقَلُّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها»(البقرة144/2).

حيث نجد أن "قد يعلم" في الآية الأولى "قد نرى تقلب وجهك" في الاية الثانية جاءتا بمعنى قد علم وقد رأينا(2).

قد يتفق المفسرون أن "قد" تصرف المضارع الى الماضي في بعض المواضع(3) منها الايات التي ذكرناها. ومنها قوله تعالى : «قد نعلم أنه ليجزنك الذي يقولون»(الأنعام33/6).

وقوله تعالى : «ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون»(الحجر97/15).

وقوله عز وجل : «قد يعلم الله المعوقين منكم»(الاحزاب18/33).

لما التعليقية الحينية

يذهب النحاة في "لما" هذه مذهبين : أحدهما : أنها حرف وهو مذهب سيبويه، والثاني أنها ظرف بمعنى حين، وهو مذهب علي الفارسي وبعض المتأخرين من النحاة(5).

---

1 - البحر 262/8.

2 - المصدر نفسه.

3 - انظر المصدر السابق 262/8، 427/1-428، 110/4-111. وانظر املاء ما من به الرحمن لأبي البقاء العكبري 40/1 ودراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول، الجزء الثاني 307-39 للأستاذ عبدالخالق عضيمة.

5 - انظر الخصائص لابن جني 253/2 و222/3 وانظر الجنى الداني في حروف المعاني594 وما بعدها.

وقد جمع ابن مالك بين المذهبين في التسهيل، فقال : اذا ولي "لما" فعل ماض لفظا ومعنى، فهي ظرف بمعنى "اذا"(1).

وقد حدد النحاة زمن الفعل الذي يلي "لما" في اطار الماضي فقط، قال المرادي : "واعلم أن لما هذه لا يليها الا فعل ماض مثبت أو منفي بـ "لم" وقد تزاد "أن" بعدها، قوله تعالى :«فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا »(يوسف96/12).

فهي مختصة بالماضي وتقتضي جملتين، وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما. وعندما ندرس المواقع الزمنية لـ :لما" نجد أنها لا يليها الا ماض لفظا ومعنى. ومن ذلك قوله تعالى : «فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون»(الاعراف135/7). اذ يبين سياق الآية أن الفعل "كشف" جاء للماضي لفظا ومعنى.. وعندما يشرح أبوحيان هذه الآية، فانه يفسرها في سياق الماضي، قال فلما كشفنا عنهم العذاب المقرر عليهم الى أجل فاجأوا بالنكث..... ولكن لما كشف عنهم انتهوا(2).

منها كذلك قوله تعالى : «دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق»(يونس23,22/10).

فسياق الآية يسن كذلك أن "لما أنجاهم" للماضي فقد جاءت الآية خطابا "لأولئك الذين أنجاهم الله وبغوا"(3).

وقد جاءت "لما" كذلك للماضي في قوله تعالى«فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط»(هود47/11). لأن معنى الآية عند

1 - التسهيل لابن مالك 241.
2 - البحر 374/4-375.
3 - البحر المحيط لأبي حيان 140/5.

المفسرين : "لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة"(1) و "يجادلنا" انما جيء به مضارعا لحكاية الحال لأن "لما" ترد المضارع الى معنى الماض كما ترد "ان" الماضي الى معنى الاستقبال(2).

ومن الآيات التي جاء فيها الفعل التالي لـ"لما" ماضيا لفظا ومعنى قوله تعالى : «فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية»(النساء4/77).

وقوله عز وجل : «فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون»(الأنبياء21/12).

وقوله تعالى : «ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون »(الزخرف/57 43).

ومنه قوله تعالى : «فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجُبّ»(يوسف12/15).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به»(البقرة2/89).

"اذ فعل" "اذ يفعل"

"اذ" يتفق النحاة على أنها ظرف لما مضى من الزمن وتستعمل أربعة استعمالات.

أحدهما : أن تكون ظرفا نحو : «إلاّ تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا »(التوبة9/16).

---

1 - الكشاف 2/282.

2 - المصدر نفسه.

ثانيهما : أن تكون مفعولا به نحو : «واذكروا اذ كنتم قليلا فكثرتم»(الاعراف86/7).

ثالثهما : أن يكون بدلا من المفعول نحو : «واذكروا في الكتاب مريم اذا انتبذت»(مريم16/19).

رابعهما : أن يكون مضافا اليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه نحو : يومئذ وحينئذ(1). وغالبا ما تأتي اذ مدرجة في سياق قصصي في القرآن الكريم وفي أوائل سور القصص فيه على الخصوص لذلك جاءت في ايات كثيرة دالة على الزمن الماضي. وان دلت على غير الماضي في ايات أخرى على نحوي ما سنرى.

فمن الآيات التي دلت فيها : "اذ فعل" على الماضي قوله تعالى : «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر»(المائدة27/5).

فليس يخفى ان "قربا" دلت على الماضي البعيد وهو ماض يرقى الى زمن ابني آدم قابيل وهابيل. لذلك يجعل صاحب الكشاف جملة اذ قربا بدلا من النبأ. أي "أقل عليهم النبأ، نبأ ذلك الوقت"(2)، نبأ إقدام قابيل على (قتل النفس التي حرّم الله قتلها حيث كان أول من سن القتل، وكان عليه وزره، ووزر من عمل به الى يوم القيامة(3).

ومن الآيات التي جاءت فيها "اذ فعل" واضحة الدلالة على المضي قوله تعالى : «إذ قال يوسف لأبيه إني رأيت أحد عشر كوكبة والشمس والقمر

---

1 - انظر معنى اللبيب لابن هشام 80/1 وما بعدها والجني الداني في حروف المعاني للمرادي 185 وما بعدها، والاتقان 147/1.

2 - الكشاف 606/1.

3 - البحر المحيط لأبي حيان 460/3.

رأيتهم لي ساجدين»(يوسف2/12).

ونحو قوله تعالى في سورة نفسها : «قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه»(يوسف51/12).

ومنه قوله تعالى : «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ أوى الفتنة الى الكهف»(الكهف10/18).

وقوله عز وجل : «كفهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكرياء اذ نادى ربه نداء خفيا»(مريم1/19-3).

وقوله سبحانه وتعالى : «واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا»(الكهف16/19).

ومنه كذلك قوله تعالى : «وإذ نادى ربك موسى أن ايت القوم الظالمين قوم فرعون»(الشعراء10/26).

وقوله تعالى : «ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين، إذ قال ربه "أسلم" قال أسلمت لرب العالمين»(البقرة130/2-131).ومنه قوله تعالى : «واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة»(البقرة30/2).

وقوله تعالى : «وإن من شيعته لابراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم وإذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون»(الصافات83/37-85).

ومنه قوله تعالى : «اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل»(المائدة110/5).

وقد دلت "اذ فعل" على المستقبل في قوله تعالى : «ولو ترى اذ وقفوا على

النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا »(الانعام27/6)

إذ نجد أن "اذ وقفوا" تدل على الاستقبال البعيد الذي يمتد الى زمن الدار الآخرة. وبذلك تكون "وقفوا" ماضيا لفظا مستقبلا معنى وانما جاء كذلك تقريبا للأمر وتنزيل المستقبل منزلة الماضي "لأن الشيء كائن، وان لم يكن بعد ذلك عند الله جل ثنائه قد كان، لأن علمه به سابق، وقضائه به نافذ فهو كائن لا محالة(1). وقيل : (ترى) باقية على استقبالها، و (اذ)معناه اذا، فهو ظرف مستقبل(2) ويكون المعنى الزمني لـ : "واذ وقفوا" : حين يقفون. ومنه قوله تعالى : «ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب»(سبأ51/34).

لأن اذ فزعوا للاستقبال البعيد اذ جاءت في سياق يصور ما سيكون يوم القيامة. قال الكشاف : "ولو" و "اذ" والافعال التي هي فزعوا وأخذوا، وحيل بينهم جلها للمضي، والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعلة في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع : وقت البعث، وقيام الساعة(3) ومن ذلك قوله تعالى : «اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب»(البقرة166/2).

ومن المواضع التي جاءت فيها "اذ فعل" قابلة للدلالة على الماضي والمستقبل معا قوله تعالى : «واذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا »(المائدة20/5). اذ يرى أبو حيان أن "جعل" هنا لا يراد بها حقيقة الماضي "اذ أن بعض الانبياء كان قد ظهر عند خطاب موسى اياهم، وبعضهم لم يكن قد خلق بعد(4).

---

1 - انظر الصاحبي 111-112.
2 - البحر المحيط لأبي حيان 101/4.
3 - الكشاف 296/3.
4 - البحر المحيط لأبي حيان 452/3.

اما "اذ فعل" فقد دلت في الغالب -هي كذلك- على الماضي على الرغم من أنها على صيغة المضارع، أي أن "اذ" تصرف المضارع الى المضي.

وهذه أمثلة من ايات جاءت فيها "اذ يفعل" دالة على الماضي وهي قوله تعالى : «واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تُكَلم الناس في المهد وكهلا، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير..... واذ تخرج الموتى بإذني.....»(المائدة5/110-111).

فإن "اذ تخلق" و "اذ تخرج" دلت على الزمن الماضي من وجهين :

الوجه الأول : أنها جاءت في سياق سرد أخبار سيدنا عيسى عليه السلام.

الوجه الثاني : أنها جاءت معطوفة على فعلين ماضيين لفظا ومعنى وهما "أيدك" "علمتك"(1).

ومنها كذلك قوله تعالى : «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين»(الانفال8/9). اذ جاء الفعل الماضي لفظا ومعنى معطوفا على الفعل المضارع "اذ تستغثون" فدل على مضيه، فيما أن الاستجابة التي هي تالية في الزمن لـ : "تستغثون"قد حدثت وأثبحت فعلا ماضيا حقيقة، فبالاحرى أن يكون الفعل "تستغثون" قد جاء بمعنى الماضي كذلك.

ومن أمثلة ورود "اذ يفعل" في سياق الماضي قوله تعالى : «واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يغدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا»(الاعراف7/163) حيث دلت "اذ يغدون" "اذ تأتيهم" على الزمن الماضي. قال أبوحيان وهو يشرح الآية ويرد على ما جعل "اذ" متعلقة بـ :

---

1 - التفسير الكبير للرازي 12/126.

"اسألهم" و "لا يتصور" (أي لا يجوز هذا الرأي)، لأن اذ ظرف لما مضى، وسلهم مستقبل ولو كان ظرفا مستقبلا لم يصح المعنى، لأن الغادين وهم أهل القرية مفقودون، فلا يمكن سؤالهم(1). الى أن يقولوا وهو يشرح المعنى الزمن لـ : "يغدون" و "تأتيهم" : أي عدوان اذ في السبت اذ آتيهم"(2) ومؤدي رأي أبي حيان أن الخطاب في "أسألهم" موجه الى من هم بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود الذي أنكروا أن يكون لبني اسرائيل عصيان بينما تدل "اذ" على ما مضى من الزمن فلا يمكن أن تتعلق "اذ" بـ اسألهم لانعدام المناسبة الزمنية أي أن الفعلين المضارعين الواردين في الاية وهما "اذ يعدون" و "اذ تأتيهم" يدلان على زمن مضى وانقضى منذ مدة طويلة.

وهذه أمثلة من الايات التي جاءت فيها "اذ يفعل" دالة على الزمن الماضي، قوله تعالى : «ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه»(3)(يونس61/10).

«وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث»(الانبياء78/21). وقوله : «قل هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعوكم أو يضرون، قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون»(الشعراء72/26-74).

ومنه كذلك قوله تعالى : «تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين»(الشعراء97/26-98).

وقوله تعالى : «لقد رضي الله على المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم»(الفتح18/48).

وقد دلت "اذ يفعل" كذلك على ما يستقبل من الزمان. وهذا على الرغم من

---

1 - البحر المحيط لأبي حيان 410/4.

2 - المصدر نفسه 411/4

3 - يشرح صاحب البحر : (141/5) اذ تفيضون بـ اذ أفضتم.

أن النحاة يجعلونها خالصة للمضي. ومن ذلك قوله تعالى : «واذ يتحاجون في النار»(غافر47/40). اذ أن يساق الآية بين أن المحاجة تتم في الدار الآخرة أي فيما تستقبل من الزمان البعيد(1).

ومن ذلك قوله تعالى : «ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأنّ الله شديد العذاب». واذ تبدوا دلالة "اذ يرى) على الاستقبال واضحة، لا لبس فيها ومعناها الزمني عند المفسرين.

"ولو يرى الذين ظلموا يوم القيامة اذ يرون العذاب حين تخرج اليهم من مسيرة خمسمائة عام»(2). وقال في الكساف : "لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الطلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله..... ويعملون شدة عقابه للظالمين اذ عاينوا العذاب يوم القيامة فكان مالا يدخل تحت الوصف...."(3).

منا دلت على الزمن العام في قوله تعالى : «اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد»(ق17/50).

لأن "اذ يتلقى" جاءت في الآية دالة على جميع الأزمنة التي يعيشها ابن آدم ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها : فالمتلقيان هما هما الملكان اللذان يسجلان كل ما يتلفظ به الانسان في كل زمان(4) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ان مقعد ملكيك على ثَنْيَتَيْكَ، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يفيدك، لا تستحي من الله، تعالى، ولا منهما". فكأن "اذ" هنا صرفها السياق عن دلالتها الزمنية الاصلية (الماضي الغالب). وجعلها تدل على الزمن العام.

1 - انظر شرح الاية في البحر المحيط لأبي حيان 468/7-469.
2 - البحر 472/1-473.
3 - الكشاف للزمخشري 326/1.
4 - الكشاف 6/4-5) المصدر نفسه.

وقد جاءت "اذ" بمعنى الشرط في قوله تعالى : «أأشفقتم أن تقدموا بين نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»(المجادلة13/58).

قال الرضي : أما قوله تعالى : «فاذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم) فالإجراء الظرف مجرى كلمة الشرط(1) وغالبا ما يأتي الشرط للدلالة على زمن عام غير مختص بمرحلة معينة ونحن عندما نتأمل الفعل "فاذ لم تفعلوا" نجد أنه ينطلق من الزمن الماضي الى المستقبل وذلك لوجود "لم" التي تدل على الماضي دائما، وفعل الأمر الدال على الاستقبال.

لذلك قال الرضي وهو يدرس مثل هذه التراكيب : حتى كأن هذه الأفعال المستقبلية وقعت في الأزمنة الماضية(2).

ونجد أن المفسرين عندما أرادوا شرح الآية، جعلوا "اذ لم تفعلوا" تحتمل المضي، كماتحتمل الاستقبال، والعبارة التي تدل على عموم زمن هذا الفعل هو قول المفسرين في شرح الآية : "أنكم اذا كنتم تائبين راجعين الى الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف"(3).

الدلالة الزمنية لـ"فعل"-"تفعل" مع "أن" الناصبة للفعل المضارع :

يعد النحاة "أن" المصدرية الناصبة للفعل المضارع أمّ حروف النصب وهي توصل بالفعل المضارع المتصرف، كما توصل بالفعل الماضي(4).

---

1 - انظر شرح الرضي على الكافية 399/2.

2 - المصدر نفسه.

3 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 272/29.

4 - انظر الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 216-217 والاتقان 155/1-156 ومعنى اللبيب 27/1 وما بعدها.

فمثال دخولها على المضارع ونصبه قوله تعالى : «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله»(القصص82/28). ومثال دخولها على الماضي قوله تعالى : لولا أن من الله علينا لخسف بنا».

وقد تبين لنا ونحن ندرس "أن فعل" في مواطن عدة في القرآن، أن هذا التركيب يدل على الماضي لفظا ومعنى، ومن ذلك قوله تعالى : «يمنون عليك أن أسلموا»(الحجرات17/49).

فالتركيب "أن أسلموا" وان جاء تاليا للفعل المضارع "يمنون" فانه جاء في سياق اخباري دل على جدث مضي وانقضى أثره. يقول صاحب الكشاف وهو يشرح هذه الآية ويبرز الجوانب البلاغية الزمنية فيها "وسياق الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعاريب قد سماه الله اسلاما، وقضى أن يكون كما زعموا ايمانا فلما منّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة أن هؤلاء يعتدون عليكم بما ليس جديرا بالاعتداء به من حدقهم الذي حق تسميته أن يقال له اسلام"(1) وهو شرح يبين أن فعلي المنّ وزعمهم الاسلام قد حدثا فيما مضى من الزمن. ذلك ما يبينّه سياق الآية وتبرزه الآيات السابقة في قوله تعالى : «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم»(الحجرات14/49).

ومن الآيات التي جاء فيها "أن تفعل" دالة على الماضي لفظا ومعنى، قوله تعالى : «ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ»(هود69/11) حيث أن مضي "أن لبث" لا يحتاج الى بيان، فهو وارد في سياق قصصياخباري" وقد شرح أبوحيان هذا التركيب بما يدل على

---

1 - الكشاف 571/3.

أنه ماض : فقال : لبث معناه تأخر وأبطأ(1) ويكون معنى ما لبث أن جاء : ما تأخر أن جاء بعجل حنيذ "كأنك" قلت : فما أبطأ عن مجيئه بعجل.(2)

ومن تلك الآيات كذلك قوله تعالى : «وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل»(الشعراء11/26).

وقوله تعالى : «ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله»(الروم10/30).

وقوله عز وجل : «أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم»(الاعراف69/7).

وقوله سبحانه وتعالى : «ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوركم على المسجد الحرام أن تعتدوا»(المائدة2/5).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ما نقموا الأ أن أغناهم الله ورسوله من فضله»(التوبة74/9).

وقوله عز وجل : «وما منعنا أن نرسل بالايات الأ أن كذّب بها الأولون»(الاسراء59/17).

وقوله عز وجل : «عبس وتولى أن جاءه الأعمى»(عبس1/80-2).

وقوله سبحانه : «ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك»(البقرة258/2).

أما "أن" الناصبة للفعل المضارع، ففيها ألوان زمنية مختلفة في القرآن على الرغم من أن النحاة يجعلونها تدل بالاصالة والتغليب على المستقبل

1 - البحر 241/5.
2 - معاني القرآن 21/2.

القريب والبعيد.

فهي تأتي في سياق ماض عندما تلي فعلا ماضيا لفظا ومعنى.

ومن ذلك قوله تعالى : «فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا»(الاسراء،103/17).

حيث نجد أن "أن يستفزهم" تدل على زمن مضى وانقطع أثره نظرا لوجود قرائن لفظية ومعنوية فهو واقع في سياق سرد أخبار سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وهي أحداث بعيدة المضي.

وقد جاء بعد ماض لفظا ومعنى هو قوله تعالى : "فأراد" ثم انه قد ترتب عليه فعل آخر ماض لفظا ومعنى هو قوله تعالى : فأغرقناه" وهو فعل يدل على أن ارادة الاستفزازمن فرعون قد حدثت قبل اغراقهم. إذ الفاء للترتيب.

ومن الايات التي جاءت متشابهة للاية السابقة في الدلالة الزمنية والتركيب قوله تعالى : «فأراد ربك أن يبلغها أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك»(الكهف82/18).

وقوله تعالى : «فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس»(القصص19/28).

وقوله عز وجل : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم»(المائدة11/5).

ومنه قوله تعالى : «اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما»(آل عمران122/3).

حيث نجد أن "أن يفعل" في كل هذه الآيات جاءت دالة على مستقبل أحداث ماضية ولكنها في حد ذاتها أفعال ماضية بالنسبة لزماننا أي أنها مركبات تدل

على مستقبل الماضي المتحدث عنه وماضي الحاضر الذي نعيشه.

وهي تدل على المستقبل في ايات كثيرة منها قوله تعالى : «لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله»(البقرة282/2).

حيث جاءت "أن تكتبوه" في سياق نهي والنهي بصرف ما بعده للاستقبال. قال أبوحيان: "لما نهي عن امتناع الشهود اذا ما دعوا للشهادة، نهي أيضا عن السآمة في كتابة الدين"(1).

ومنه قوله تعالى : «ولا يأب كاتب أن يكتب»(البقرة282/2) حيث جاء "أن يكتبوه" فيسياق نهي دال على استقبال كذلك.

وقد جاءت "أن يغفل" دالة على المستقبل البعيد في قوله تعالى : «والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين»(والشعراء82/26).

حيث ذلت القرينة "يوم الدين" على أن التركيب "أن يغفر" مصروف الى المستقبل البعيد وزمن يوم القيامة ومن ذلك قوله تعالى : «قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال»(ابراهيم31/14).

حيث انصرف التركيب "أن يأتي: الى المستقبل البعيد بفضل القرينة "يوم" التي يراد بها يوم القيامة وقوله تعالى : «فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون»(الروم43/30). فقد دلت "أن يأتي" في الآية على المستقبل البعيد الذي يمضي الى زمن يوم القيامة. قال أبوحيان وهو يشرح هذه الآية "من قبل أن يأتي يوم القيامة، وفيه تحذير يعم الناس(2)".

---

1 - البحر 350/2.

2 - المصدر نفسه 176/7.

والمعنى عنده : "من قبل أن يأتي يوم من الله لا يرده أحد"(3).

وقد جاءت "أن مثلوه" بـ "لن يفعل"، فانصرفت الى المستقبل المنفي وذلك قوله تعالى : «من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيظه ما يغيظ»(الحج15/22).

وقوله تعالى : «بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا»(الفتح12/48).

وقوله عز وجل : «أيحسب أن لن يقدر عليه أحد»(البلد7/90).

كما وردت "أن يفعل" في آيات كثيرة دالة على الزمن العام الذي يحتمل الأزمنة الثلاثة : من ذلك قوله تعالى : «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب»(البقرة177/2).

فقد تبين لنا ونحن ندرس الآية في السياق التي وردت فيه مستأنسين بشروح المفسرين لها. أنّ "أن تولوا" جاءت لعموم الزمان ولم تأت لتخص زمنا بعينه ودليلنا في ذلك قوله تعالى بعد ذلك (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) اذ لا خلاف في أن "من" تأتي للتعميمفي الزمان والمكان أي أنها تدل على تعميم حكم الجملة بعدها ومثل ذلك كثير في القرآن منه قوله تعالى : «من عمل صالحا فلنفسه ومن ساء فعليها»(فصلت46/41). وقوله عز وجل : «من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب»(غافر40/40). وقد اختلف العلماء في أن الخطاب في "أن تولّوا" دال على العموم أو على الخصوص. فقال بعضهم : المقصودون في الخطاب هم أهل الكتاب لما أصروا على التوجه نحو بيت المقدس.

---

1 - المصدر نفسه وانظر الكشاف 224/3.

فقال تعالى : «ليس البر بهذه الطريقة ولكن البر من آمن بالله»(1).

وقال بعضهم : المراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا أنهم نالوا البغية بالتوجه الى الكعبة فخطبوا بهذا الكلام. وقال بعضهم : بل هو خطاب للكل، حيث ظن بعضهم أن الفرض الأكبر في الدين هو الاغتباط بهذه القبلة. فبعث الله تعالى بهذا الخطاب المتضمن اسيفاء جميع العبادات والطاعات. وبين أن البر ليس بأن تولوا وجوهكم شرقا و غربا، وانما البر كيت، وكيت. "فكأنه تعالى قال : ليس البر المطلوب هو أمر القبلة بل البر المطلوب هذه الخصال التي عدها(2).

وعمومية زمن الفعل "أن تولو" هو الذي يرجحه العلماء. وهذا باعتبار أن كل مسلم في أي زمان ومكان يجب أن يعرف أنه معني بهذا الخطاب وليس في "حل" مما جاء في الآية بوجوب الايمان بالله واليوم الآخر وعدم الاكتفاء بالتوجه الى المشرق والمغرب.

وقد وجد المفسرون أن "أن" مع الفعل قد وردت في آيات كثيرة لا يتعين فيها الزمن بل تبقى دالة على الازل. في نحو قوله تعالى : «انما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون»(النحل40/16).

لأن قوله تعالى : "اذا أردنا منزلة مراد، ولكنه أتى بهذه الألفاظ المستأنفة بحسب أن الموجودات تجيء، وتظهر شنا بعد شيء فكأنه قال اذا ظهر المراد فيه(3).

وقد لاحظ ابن عطية أن "أن" مع الفعل تعطي استئنافا ليس في المصدر. (المؤول من أن والفعل : أن يقول= القول) في أغلب أمرها وقد تجيء في

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 34/5.
2 - عن التفسير الكبير للامام الرازي 34/5. بتصرف.
3 - البحر المحيط لأبي حيان 91/5-92.

مواضيع لا يلحظ فيها الزمن واستشهد بالآية السابقة(1) أي أن "أن يكون" في الآية لا تتقيد بزمن معين. وانما هي صالحة للحدوث في كل زمان ولكن أبا حيان رفض هذا الرأي وقال ان "أن يفعل" تدل على المستقبلفي جميع أمورها وما يظهر على هذا التركيب من عمومية الزمن لا يفهم من دلالة "أن" (وانما ذلك من نسبة قيام الأرض بأمر الله، لأن هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضي في حقه تعالى ونظيره ان الله كان على كل شيء قديرا) فكان تدل على اقتران مضمون الجملة بالماضي وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا، ومستقبلا، وتقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه عن غير ذلك الزمن"(2) أي أن السياق فيما يرى ابن حيان "هو الذي أضفى هذه الدلالة الزمنية الخاصة على مضمون الجملة، ولا فضل لـ : "أن" في ذلك، ولسنا مع أبي حيان في تجريد "أن" من دلالتها الزمنية لأن الآداة في التركيب قد تستمد دلالتها الخاصة من السياق مثال ذلك أننا نقف عند الأداة "ما" فلا ندري هل هي للنفي أو هي للاستفهام أو للشرط، أو مصدرية الا عندما نعرف السياق الذي وردت فيه، فاذا عرفنا ذلك قلنا أنها للنفي أو غيره وهذا ما يجب عمله مع "أن" في الآية السابقة : فأن تدل على الزمن العام لأنها جاءت في سياق يوحي بذلك "وهو ما يسميه اللسانيون بـ : الانزياح(3) : أي انحراف الكلمة من معناها الاصلي الى معنى آخر، مستوحى من السياق كما دلت "أن يفعل" على الزمن العام وعندما جاء تالية لـ : "ما يكون" أو "ما كان" من ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام «قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق»(المائدة116/5). اذ جاء "أن أقول" في سياق يوحي بنفي القول أو بنفي انبعاث القول في جميع مراحل حياة سيدنا عيسى عليه السلام. ماضيها

---

1 - المصدر نفسه 92/5.

2 - المصدر نفسه.

3 - انظر في هذا الموضوع : الاسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي 158-159.

وحاضرها، ومستقبلها قال الزمخشري عندما شرح "ما يكون لي أن أقول" (ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله(1) ومنه قوله تعالى : «وما كان لنبي أن يُغَل»(آل عمران161/3).

اذ دلت " أن يفعل" على نفي الغلول على الانبياء في جميع الأزمنة ونفيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل حياته. ومعنى (ما كان لنبي أن يغل : "وما صح له ذلك، يعني أن النبوة تنافي الغلول"(2) وقد دلت "أن يفعل" على الزمان العام في ايات كثيرة منها قوله تعالى : «انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا»(النور51/24)، وقوله تعالى : «أفمن يهدي الي الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي لاً أن يهدي»(يونس35/10).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون»(العنكبوت2/29).

وقوله عز وجل : «ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها»(البقرة26/2).

وقوله عز وجل : «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها»(البقرة114/2).

لا الناهية مع الفعل المضارع "يفعل"

عندما تأتي "لا" لطلب الترك أو لمجرد الطلب، فان الفعل المضارع بعدها ينجزم ويتخلص للاستقبال، قال في الاتقان عن "لا" بنوعيها (الطلب والنهي): "تختص بالمضارع، وتقتضي جزمه واستقباله، سواء كان نهيا نحو (لا

1 - الكشاف للزمخشري 655/1 والتفسير الكبير للامام الرازي 234/12.
2 - الكشاف 475/1.

تتخذوا عدوي وعدوكم) (الممتحنة1/60).... أم دعاء نحو : (لا تؤاخذنا) (البقرة286/2) ومن الآيات التي جاءت فيها "لا الناهية" دالة على المستقبل الواقع حيز الماضي (كسرد أخبار الأنبياء والمرسلين وغير ذلك) قوله تعالى : وأوصى بها ابراهيم نبيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الاّ وأنتم مسلمون»(البقرة132/2).

وقوله تعالى : «ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين»(هود42/11).

وقوله عز وجل : «كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون أي لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الاّ على رب العالمين، وأوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين»(الشعراء-181 176/26).

ومنه كذلك قوله تعالى : «واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم»(لقمان13/31).

ومما جاء في سياق طلب أو دعاء في الزمن نفسه قوله تعالى : «وزكرياء اذ نادى ربه ربّ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين»(الأنبياء89/21).

وقوله عز وجل : «وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديار»(نوح26/71).

وقد جاءت "لا الناهية" دالة على الاستقبال في أغلب الايات القرآنيـة وقـد

---

1 - انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي 171/1-172 وانظر الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 300.
وانظر أقسام الكلام في اللغة العربية من حيث المعنى، المبنى، رسالة دكتوراه مقدمة من الدكتور اسماعيل محمد خليل الخطيب بجامعة الاسكندرية ص319.

قال المفسرون أنّ هناك آيات كثيرة نوجه فيها النهي الى النبي صلى الله عليه وسلم والمقصود بهذا النهي هم سائر البشر لأنه معصوم من ملابسه هذه الأفعال(1)، أي أن المدى الزمني لـ : "لاالناهية" في هذه الآيات يمتد في الاستقبال ما دامت البشرية في هذه الحياة الدنيا من تلك الايات (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد »(آل عمران196/3).

اذ يشمل النهي في "لا يغرنك" كل الأمة الاسلامية في جميع الأزمنة حسب تفسير صاحب البحر لهذه الآية، لأن مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء، فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكان قبل لا يغرنكم(2) ومنها قوله تعالى : «ولكل أمة جعلنا متسكا هم ناسكوه فلا ينازعنّك»(الحج67/22) ومنها قوله تعالى : «فلا تدع مع الله الها فتكون من المعذبين»(الشعراء213/26).

قال أبوحيان : "الخطاب في الحقيقة للسامع، لأنه تعالى قد علم أن ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول صلى الله عليه وسلم.... والمعنى قل يا محمد لمن كفر لا تدع مع الله الها آخر"(3)، واذا كان الخطاب موجها لسامع القرآن فان زمن النهي هنا يصبح دالا على المستقبل البعيد لأنه مرتبط بتلاوة القرآن الكريم في هذه الدنيا كلها الى نهايتها.

وقد جاءت "لا الطلبية" دالة على الزمن العام حسب فهمنا من شرح المفسرين لهذه الآية وهي قوله تعالى : «والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة»(آل عمران7/3-8).

---

1 – انظر : البحر المحيط لأبي حيان 146/3-147 وانظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم لأستاذ عضيمة القسم الأول، الجزء الثاني 522.

2 – انظر هنا المعنى في البحر المحيط 387/6.

3 – البحر 46/6.

اذ دلّت "لا الطلبية" على زمن عام يشمل جميع الأزمنة التي وجد فيها الراسخون في العلم أو سوف يوجدون فيها.

قال الرازي ما معناه : ان العلم بالمشابه حاصل عند الله تعالى وعند الراسخين في العلم.... وهذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد..... وأكثر المتكلمين.... الى أن يقول واعلم أن تعالى كما حكى عن الراسخين انهم يقولون آمنا به، وحكى عنهم أنهم يقولون ربنا لا تزع قلوبنا"(1).

وهكذا نفهم من الاية أن كل الراسخين في العلم مهما اختلفت أمكنتهم وأزمنتهم يعملون متشابه القرآن ويقولون ربنا لا تزع قلوبنا. أي أن "لا الطلبية" واقعة في سياق دال على الزمنالعام والله أعلم.

ومنها قوله تعالى : «ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد»(آل عمران194/3). لأن "لا تخزنا" واقعة في سياق دال على الزمن العام وهي دلالة نستمد من قوله تعالى في الايات التي قبلها : «ان في خلق السماوات والأرض لايات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما و وقعودا....»(آل عمران190/3وما بعدها).

حيث يقول المفسرون أن الآية تعني جميع أولى الألباب في كل زمان ومكان(2).

حتى الناصبة للفعل المضارع :

تصرف حتى معنى المضارع الى ما يستقبل من الزمان، لأنها تأتي لبلوغ الغاية، أو لتعليل حدث سيقع في المستقبل(3).

---

1 - انظر التفسير الكبير للرازي 177/7-179.
2 - المصدر نفسه 134/9-135.
3 - انظر معاني القرآن للفراء 136/1 والاتقان 161/1.

"وعلامته كونها للغاية، أن يحسن في موضعها" الى أن" وعلامته كونها للتعليل، أن يحسن في موضعها "كي"(1) ومن الايات التي جاءت فيها حتى للغاية قوله تعالى : «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود »(البقرة187/2).

حيث نلاحظ أن "حتى" جاءت لتحدد زمنا كان مطلقا مفتوحا وهو قوله تعالى "كلوا واشربوا" . قال أبوحيان وهو يشرح هذه الآية : "كلوا واشربوا" : آمر اباحة... أبيح لهم ثلاثة الأشياء التي كانت محرمة عليهم في بعض ليلة الصيام، وحتى يتبين "غاية الثلاثة الأشياء من الجامع والأكل والشرب"(2)، أي أن "حتى" جاءت هنا لتدل على مستقبل قريب، (الفترة الفاصلة بين موعد الافطار، وبين موعد الامساك).

ومنه قوله تعالى : «ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله»(البقرة196/2).

حيث جاءت "حتى" لتحد زمن النهي الذي كان مطلقا لأن المعنى : "اذا بلغ الهدى محله فاحلقوا رؤوسكم... ولا تحلّوا حتى تعلموا أن الهدى الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله، أي مكانه الذي يجب نحره فيه"(3).

وقد دلّت "حتى" على الغاية والزمن المستقبل في ايات كثيرة منها قوله تعالى : «ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»(الأنفال53/8).

ومنها قوله تعالى : «ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه»(البقرة191/2).

---

1 - الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 554.
2 - البحر المحيط لأبي حيان 50/2.
3 - المصدر نفسه 74/2.

وقوله تعالى : «وما يعلمان من احد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر»(البقرة102/2).

وقوله عز وجل : «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن»(البقرة221/2).

وقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلاّ عابري سبيلا حتى تغتسلوا»(النساء43/4).

كما جاءت "حتى" في آيات كثيرة دالة على غاية تتعلق بأمر مستحيل الوقوع مستقبلا منها قوله تعالى : «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حى تتبع ملتهم»(البقرة120/2).

ومنها كذلك قوله تعالى : «ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»(الاعراف40/7).

فالمؤدى الزمني لـ : "حتى تتبع) و "حتى يلج" هو نفي مضمون الجملة في المستقبل(1).

كما جاءت "حتى" لتعليل حدث سيقع في المستقبل من ذلك قوله تعالى : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله»(القرة193/2).

وقوله سبحانه وتعالى : «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا»(البقرة217/2).

وقوله سبحانه وتعالى : «فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله»(الحجرات9/49).

---

1 - قال في الكشاف وهو يشرح معنى "حتى يردوكم" : حتى معناها التعليل أي يقاتلوكم كي يردوكم "الكشاف 357/1 وذهب ابن هشام في المعنى 125/1 والعكبري في البيان في غريب القرآن 50/1 أن بقسة الايات يمكن أن تكون للتعليل.

وقوله عز وجل : «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا »(المنافقون7/63).

وقد جاءت "حتى" مع الفعل المضارع مصروفة الى زمن الماضي بفضل السياق الذي وقعتفيه وذلك في قوله تعالى : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نَصْرُ الله»(البقرة2/214).

اذا جادت "حتى" والفعل بعدها في سياق حكاية الماضي، فقد نزلت في غزوة الخندق، حيث أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وسوء العيش وأنواع الأذى.... وبلغت القلوب الحناجر وأسر قوم من الأغنياء النفاق فأنزل الله تعالى هذه الاية تطبيبا لقلوبهم(1). ومن أجل ذلك قرأ نافع حتى نقول بالرفع، على أن الفعل قد مضى وانقضى، وانه يخبّر عن الحالة التي كان فيها الرسول لأن " حتى" لا تنصب بعدها الفعل الا اذا كان للمستقبل فكأن المعنى الزمني لـ "حتى يقول" بالرفع : وزلزلوا حتى قال الرسول، أو حتى كان من شأنه أن يقول.

يقول الفراء اذ رأيت قبلها فعل ماضيا (أي قبل "حتى فعل ماض على الحقيقة) وبعدها يفعل في معنى مضيّ.... فارفع يفعل بعدها(2).

أي أن رفع "يفعل" ووجود الفعل الماضي قبل "حتى" دليلان على أن حتى يفعل للماضي.

فاء السببيـة :

تأتي الفاء هذه لتدل أن الفعل بعدها يقع بسبب فعل سابق سيحدث في المستقبل، فالموقع الزمني للفعل بعدها هو المستقبل بالضرورة والبداهـة،

---

1 - أسباب النزول لنيسابوري 44.

2 - معاني القرآن للفراء 1/133-134 والبيان في غريب القرآن للعكبري 1/50-151.

لأن "فاء السببية" لا تقع الا بعد نهي أو تخصيص أو استفهام، أو نحو ذلك(1). ومن أمثلة الايات التي جاءت فيها "فاء السببية" دالة على الاستقبال بعد النهي قوله تعالى : «فلا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا عدوا بغير علم»(الانعام108/6).

وقوله تعالى : «ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»(الأنعام153/6).

وقولع عز وجل : «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين»(الانفال46/8).

وقوله تعالى : «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار»(هود113/11).

ومنها كذلك قوله تعالى : «ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها»(النحل94/16).

وليس يخفى أن أسلوب النهي في الآية يضع الفعل الواقع بعد الفاء فيما يستقبل من الزمان، لأن النهي لا يكون الا للمستقبل وهو مسبب للفعل الواقع بعد الفاء.

وقد دلت "فاء السببية" على الاستقبال بعد الاستفهام في قوله تعالى : «أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين»(المائدة31/5).

كما دلت على الاستقبال بعد أداة التخصيص في قوله تعالى : «وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فزصدق وأكن من الصادقين»(المنافقون10/63).

ومن أمثلة وقوعها جوابا للتمني قوله تعالى : «ولئن أصابكم فضل من

1 - انظر الكتاب 28/3، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 74.

الله ليقولن كأن لم يكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما».

ومن أمثلة الترجي قوله تعالى : «وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فأطلع الى اله موسى»(غافر40/36-37).

وقد جاء الفعل الواقع بعد "فاء السببية" في سياق الماضي في قوله تعالى : «يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذورها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم»(الاعراف7/73).

ومنها قوله تعالى : «يا بني لا تقصص رؤياك على إخواتك فيكيدوا لك كيدا»(يوسف12/5).

وقد رأينا أن نرصد في خاتمة هذا الفصل الأدوات التي درسناها فيه لنتبين تنوع دلالتها حسب المراحل الزمنية ونعرف مقدار ورودها والتفاوت الموجود بينها (بين الأدوات) في المرحلة الزمنية الواحدة.

فكان هذا الجدول :

الأزمـــنـــــة

الأداة	الماضي البعيد	الماضي القريب	الحاضر	المستقبل القريب	المستقبل البعيد	مستقبل الماضي	الزمن العام	مجموع الصيغ المركبة
السين	00	01	00	13	07	02	00	23
سوف	00	00	00	03	11	01	00	15
نون التوكيد				06	11	06	00	23
قد يفعل		04	00	00	00	00	00	04
قد فعل	28	00	00	03	01	04	11	47
لما	15	00	00	00	00	00	00	15
اذ فعل	13	00	00	00	01	01	00	15
اذ يفعل	11	00	00	00	01	03	00	15
أن فعل	09	00	00	00	00	00	00	09
أن يفعل	00	00	00	09	13		11	33
لا الناهية	00	00	00	06	09		09	24
حتى	00	01	00	03	09	07	00	20
فاء السببية	00	00	00	05	11	04	00	20

وعند قراءتنا لهذا الجدول، نجد أن هناك أدوات دلت على أزمنة مختلفة على الرغم من أنها تدل في الأصل عند النحاة على زمن واحد (السين وسوف، اذ، ....).

وهناك أدوات احتفظت بدلالتها الأصيلة وظلت دالة على زمن واحد في الاستعمالات القرآنية (مثل قد، لما، أن مع فعل...الخ).

وسنرى في الجدول الآتي النسب المئوية لكل أداة في المراحل الزمنية المختلفة

وهي نسب مستنبطة من هذا الجدول.

وهذا الجدول يبين النسب المئوية للأدوات التي درسناها في المراحل الزمنية المختلفة.

الأزمنـــة ونسبـها المئويـــة

الأداة	الماضي البعيد	الماضي القريب	الحاضر	المستقبل القريب	المستقبل البعيد	مستقبل الماضي	الزمن العام
السين	00	04,34	00	56,52	30,43	08,69	00
سوف	00	00	00	20	73,33	06,66	00
نون التوكيد	00	00	00	20,08	47,82	26,08	00
قد يفعل		100	00	00	00	00	00
قد فعل	59,57	00	00	6,38	02,12	08,51	23,40
لما الحينية	100	00	00	00	00	00	00
اذ فعل	86,66	00	00	00	06,66	06,66	00
اذ يفعل	73,33	00	00	00	06,66	20	00
أن فعل	100	00	00	00	00	00	00
أن يفعل	00	00	00	27,27	39,39	00	33,33
لا الناهية	00	00	00	25	37,5	00	37,5
حتى	00	05	00	15	45	35	00
فاء السببية	00	00	00	25	55	20	00

هذا الجدول يعرض الامكانات الزمنية للأداة الواحدة حيث نجد أنها (أي الاداة) لا تساير كل ما ذهب اليه النحاة في حدوده الزمنية. حيث دلت السين ولو بنسبة قليلة على الماضي على الرغم من أن النحاة وضعوها للاستقبال

خاصة. كما دلت "اذ" على المستقبل بنسبة معتبرة وان جعلها النحاة مصروفة للماضي.

غير أن الجدول قد بين من جهة أخرى أن النسبة الغالبة لأزمنة هذه الأدوات تؤيد ما ذهب اليه النحاة حيث نجد أن السين وسوف قد استعملتا في المستقبل القريب والبعيد بنسبة 90٪ تقريبا. اذ فعل واذ يفعل استعملتا في الماضي بنسبة 85٪ تقريبا... وهكذا نجد أن الجدول قد مكننا من الكشف على مبلغ توقيف قدامى النحاة في رصد الدلالات الزمنية للأدوات من جهة، وعن الاستعمالات القرآنية الخاصة بهذه الأدوات من جهة أخرى.

خاتمة

مما لا شك فيه أن الدراسات اللغوية عند العرب قد نالت اهتماما كبيرا من لدن الباحثين العرب. قدماء ومحدثين. وهي دراسات لا تعزوها الجدية ولا الجدّة، وقد آن لهذه الدراسات أن تلتقي بالمباحث الأدبية والنقدية في ساحة النص، من أجل استثمارها في تطبيقات دلالية وجمالية واحصائية.

وأحسب أني حاولت في هذا البحث أن أقيم هذه الصلة الحميمة التي ينبغي أن تكون بين النص الأدبي والدراسات اللغوية. فلقد أضحت الدراسة اللغوية في هذا البحث تنظر الى النص من زوايا متعددة وتقيم الفعل فيه في أوضاع مختلفة بفضل دراسة البعد الزمني الدلالي فيه.

ولقد رأينا كيف كانت دراسة زمن الفعل في القرآن الكريم فتاتا تائها في كتب التفسير والنحو، والفقه، فاذا هي تضاغ في هذا البحث عملا علميا متكامل الأجزاء يمكن أن يضاف الى الدراسات اللغوية والقرآنية وعلى الرغم من أننا نعتبر أن هذه الدراسة لا تعدوا أن تكون خطوة أولى في سبيل ارساء مشروع لدراسة البعد الزمني في القرآن، فان البحث قد انتهى الى نتائج من أهمها :

1 - ان البحث كشف عن جهود النحاة والمفسرين والأصوليين في مجال دراسة زمن الفعل القرآني. وقوم هذه الجهود في ضوء المنهج الوصفي التحليلي المتبع في البحث.

2 - أبرز البحث الامكانات الزمنية الهائلة التي تتوفر عليها الصيغة الفعلية الواحدة، وبين عدم جدوى تقييد الصيغة بضوابط زمنية مرحلية. اذ لا يمكن متابعة السلوك الزمني للصيغة الواحدة نظرا لتداخل الأزمنة وتشابكها في السياق.

3 - أن النواسخ في القرآن الكريم ألوانا زمنية مختلفة تضفيها على الفعل الذي يليها كما تضفيها على ذاتها عندما تليها جملة اسمية.

5 - أن للقرينة التي تسبق الفعل أو تلحقه دورا في تحديد الفترة الزمنية التي يدل عليها الفعل، فكلمات مثل : يوم القيامة، الساعة....الخ، تصرف الفعل الى المستقبل، وأسماء مثل : آدم، ابليس....الخ تخصص الفعل في الماضي، وهكذا....

6 - أثبت البحث بالرصد والاحصاء والدراسة مدى سلامة نظر النحاة في أنهم جعلوا صيغة : فعل تفيد -وضعا- الماضي، وأنهم جعلوا صيغة : يفعل تدل -وضعا- كذلك على الحاضر والمستقبل، مما يدل على أنهم أقاموا هذا التصنيف على أساس التغليب والواقع الكلامي.

7 - أن صيغة فعل الأمر لا تكتفي بالتعبير عن المستقبل، بل تعبر عن مراحل زمنية مختلفة.

8 - ان دراسة الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية تضفي عليه ظلالا دلالية أخرى فمن ذلك أن معرفة زمن الفعل تضفي الى معرفة مكان الحدث وملابساته، ومن ذلك أن التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي تعطي ايحاء خاصا في ذهن السامع قد لا تؤديه أساليب التعبيرالأخرى كتقريب أحداث المستقبل، أو استحضارها في الحاضر من الماضي. ....الخ.

9 - كشف البحث عن زمنين في أغلب السياقات القرآنية : زمن موضوعي منطقي خارجي يسير في خط واحد، وايحاء، فهو زمن غير قابل للارتداد، وزمن داخلي لا يخضع لمنطق الأحداث، أو لا يسري وفق النظام الزمني المعهود اذ يمكن له أن يتداخل أو يتقاطع مع أزمنة أخرى كما يمكنه أم يتقلص أو يمتد وحسب مقتضى الحال. وقد استعان البحث بالرسوم لبيان طبيعته الزمنية.

10 - جاء البحث ردا علميا مدعوما بالرصد والاحصاء على مزاعم من ذهبوا أن اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن الفروق الزمنية بتسميتها المختلفة(1).

11 - اكتفى البحث بدراسة نماذج من الافعال الكاشفة عن الامكانات التعبيرية عن الزمن، ومن ثم تعد هذه الدراسة خطوة أولى في سبيل دراسة القرآن دراسة لغوية وظيفية تتظافر فيه جهود علماء اللغة والتفسير والأدب من أجل استيلاء بعض دلالته وايحاءاته المختلفة. وكل ما أرجوه هو أن يكون هذا البحث حافزا للباحثين من بعدي على الاضطلاع بهذه المهمة العلمية الجليلة.

وما توفيقي إلاّ بالله.

1 - انظر، مقالة محمود أمين العالم : مفهوم الزمن في الفكر العربي الاسلامي حاضرا وماضيا، مجلة 15هـ/21م تونس العدد 14.